



**المرتبة الأولى:** مشتركة بين الخلق. وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله. فأهل السموات والأرض جميعاً محتاجون إليه، فقراء إليه. وهو وحده الغنى عنهم. وكل أهل السموات والأرض يسألونه. وهو لا يسأل أحداً.

**المرتبة الثانية:** ذل الطاعة والعبودية. وهو ذل الاختيار. وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية.

**المرتبة الثالثة:** ذل المحبة. فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته له يكون ذله فالمحبة أست على الذلة للمحوب، كما قيل:

حكم الهوى أنف يشال ويعقد اخضع وذل لمن تحب. فليس في

وقال آخر:

مساكين أهل الحب، حتى قبورهم عليها تراب الذلة بين المقابر

**المراتب الرابعة:** ذل المعصية والجناية. فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع: كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم. إذ يذل له خوفاً اجتمعت هذه المراتب الأربع: كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم. إذ يذل له خوفاً وخشية، ومحبة وإنابة، وطاعة، وفقرأ وفاقة.

**حقيقة ذلك:** هو الفقر الذي يشير إليه القوم. وهذا المعنى أجل من أن يسمى بالفقر. بل هو لب العبودية وسرها. وحصوله أفعى شئ للعبد، وأحب شئ إلى الله.

فلا بد من تقدير لوازمه: من أسباب الضعف، وال الحاجة، وأسباب العبودية والطاعة، وأسباب المحبة والإنابة. وأسباب المعصية والمخالفه، إذ وجود الملزم بدون لازمه ممتنع، والغاية من تقدير عدم هذا الملزم ولازمه، مصلحة وجوده خير من مصلحة فوته. ومفسدة فوته أكبر من مفسدة وجوده. والحكمة مبنها على دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناها. وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما. وإن فتح لك الباب. فإن كنت من أهل المعرفة فادخل، وإلا فرد الباب وارجع بسلام.

**ومنها:** أن أسماءه الحسنى تقتضى آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبياتها، فاسم "السميع، البصير" يقتضى مسماواً وبصراً. واسم "الرزاق" يقتضى مروقاً. واسم "الرحيم" يقتضى مرحوماً. وكذلك أسماء "الغفور، والعفو، والتواب، والحليم" يقتضى من يغفر له، ويتبوب عليه ويعفو عنه، ويحلم. ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات، إذ هي أسماء حسنى وصفات كمال، ونعوت جلال، وأفعال حكمة وإحسان وجود. فلا بد من ظهور آثارها في العالم. وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله - صلوات الله وسلامه عليه - حيث يقول: "لَوْلَمْ تَذَنَّبُوا لِذَهَبِ اللَّهِ بِكُمْ، وَلِجَاءْ بِقَوْمٍ يَذَنَّبُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ فِيغْفِرُ لَهُمْ". وأنـت إذا فرـضـتـ الـحـيـوانـ بـجـمـلـتـهـ مـعـدـوـمـاـ، فـمـنـ يـرـزـقـ الرـزـاقـ . سـيـحـانـهـ؟ إـذـاـ فـرـضـتـ الـمـعـصـيـةـ وـالـخـطـيـةـ مـنـ الـعـالـمـ. فـلـمـ يـغـفـرـ؟ وـعـمـنـ يـغـفـرـ؟ وـعـلـىـ مـنـ يـتـوـبـ وـيـحـلـمـ؟ إـذـاـ فـرـضـتـ الـفـاقـاتـ كـلـهاـ قـدـ سـدـتـ، وـالـعـيـدـ أـغـنـيـاءـ مـعـافـونـ. فـأـيـنـ السـؤـالـ وـالـتـضـرـعـ وـالـابـتـهـالـ؟ وـالـإـجـاـبـةـ وـشـهـودـ الـفـضـلـ وـالـمـنـةـ، وـالـتـخـصـيـصـ، بـالـإـنـعـامـ وـالـإـكـرـامـ؟

فسبحان من تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات. ودلهم عليه بأنواع الدلالات وفتح لهم إليه جميع الطرقـاتـ. ثم ليهلك من هلك عن بيـنةـ وـيـحـيـىـ منـ حـيـ عنـ بيـنةـ وـإـنـ اللهـ)ـ: نـصـبـ إـلـيـهـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ. وـعـرـفـهـ بـهـ وـدـلـهـ عـلـيـهـ (ـالـأـنـفـالـ:ـ 42ـ لـسـمـيـعـ عـلـيـمـ

فرح الله بتوبة التائب:

**ومنها:** السر الأعظم، الذي لا تقتصر عليه الإشارة، ولا ينادى منادي الإيمان على رعوس الأشهاد، بل شهدته قلوب خواص العباد. فازدادت به معرفة لربها ومحبة له. وطمأنينة به وشوقاً إليه، ولهجاً بذكرة. وشهوداً لبره، ولطفه وكرمه وإحسانه، ومطالعة لسر العبودية، وإشرافاً على حقيقة الإلهية. وهو مثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فأضطجع في ظلها - قد أيس من راحته - فيينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرج اللهم أنت عبدي وإن ربك ) رواه مسلم

وفي الحديث من قواعد العلم: أن اللفظ الذي يجري على لسان العبد خطأ من فرح شديد، أو غيظ شديد، ونحوه. لا يؤخذ به . ولهذا لم يكن هذا كافراً بقوله: " أنت عبدي وأنا ربك " أخرجه أبو داود.

ومعلوم أن تأثير الغضب في عدم القصد يصل إلى هذه الحال، أو أعظم منها . فلا بد ينبغي مؤاخذة الغضبان بما صدر منه في حال شدة غضبه من نحو هذا الكلام. ولا يقع طلاقه بذلك. ولا ردته. وقد نص الإمام أحمد على تفسير الإغلاق في قوله صلى الله عليه وسلم: " لا طلاق في إغلاق " بأنه الغضب، وفسره به غير واحد من الأئمة وفسروه بالإكراه والجنون.

وقيل: وهو يعم هذا كله. وهو من الغلق. لأن الغلق قصد المتكلم عليه، فكأنه لم ينفتح قلبه لمعنى ما قاله.

الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله أن **هذا القصد**: وأسمائه وصفاته، وما يليق بعز جلاله. وقد كان الأولى بنا طي الكلام فيه إلى ما هو اللازم يأفهمه بنى الزمان وعلوه . ونهاية أقدامهم من المعرفة. وضعف عقولهم عن احتماله. غير أنها نعلم أن الله عز وجل سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها، ومن هو عارف بقدرها. وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفاً بها. فرب حامل فقه ليس بفقير، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله، وشرفه. وخلق كل شيء له. وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطي غيره. وخلق كل شيء له. وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره. وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينهما، حتى ملائكته - الذين هم أهل قربه - استخدمهم له. وجعلهم حفظة له في منامه وبيقظته، وظعنده واقامته. وأنزل إليه وعليه كتبه وأرسله وأرسل إليه وخاطبه وكلمه منه إليه، واتخذ منهم الخليل والكليم، والأولياء والخواص والأحبار، وجعلهم معدن أسراره. ومحل حكمته. وموضع حبه. وخلق لهم الجنة والنار. فالخلق والأمر، والثواب والعقاب، مداره على النوع الإنساني .

فإنه خلاصة الخلق. وهو المقصود بالأمر والنهي . وعليه الثواب والعقاب. انتهى

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 12/08/2011

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : [www.mohammdfarag.com](http://www.mohammdfarag.com)